

”الخلاص الثالث“*

1843

بقلم الحاخام يهودا القالي**

علينا الا نذهب جميعنا إلى الأرض المقدسة معاً وفي وقت واحد. ومن المهم والضروري ليهود عديدين أن يبقوا في أرض التشتت لبعض الوقت وذلك لمساعدة المستوطنين الأوائل في فلسطين، والذين سيكونون هناك فقراء دون شك، ثانياً، الرب يرغب في أن نخلص بعزة نفس، إذ اننا لا نستطيع الهجرة بشكل جماعي، لأننا سنعيش بالنتيجة مثل البدو، مبعثرين في خيام على حقول الأرض المقدسة، الخلاص يجب أن يتم بأناة والأرض ستبنى وتعد وتحضر بالتدريج.

هناك نوعان من العودة: العودة الفردية، والعودة الجماعية. العودة بشكل فردي تعني أنه على الإنسان أن يبتعد عن طريقه الشريرة الشخصية ويتوب، التوبة بهذه الطريقة مشروحة في كتب العبادة المتعلقة بتقاليدنا الدينية. هذا النوع من العودة يسمى العودة الفردية لأنه نسبي حسب حاجة الفرد. وتعني العودة الجماعية أن إسرائيل كلها يجب أن تعود إلى الأرض التي هي إرث آبائنا، لاستلام الأمر الإلهي ولقبول نير السماء. وقد تنبأ بهذه العودة الجماعية كل الأنبياء، وبالرغم من عدم، استحقاقنا، فالسما ستساعدنا من أجل أسلافنا المقدسين.

* المصدر: أيوب، سمير ”وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني“، الجزء الأول، مرحلة الإرهاصات، (بيروت: دار الحدائق، 1984)، ص 80 – 82.

** الحاخام يهودا القالي (1798 – 1878) ولد في سراجيفو، وكان أبوه من الزعماء الروحيين بين يهود الصرب. قضى صباه في القدس، حيث خضع لتأثير نزعات القبالة Kabbalah في صوفيتها وميلها الشديد إلى الحلولية وتفسيرها الرمزي لجميع الأعداد والحروف في التلمود. وما لبث أن دعي ليكون حاخام سملين، عاصمة الصرب آنذاك، عام 1825. عاش في البلقان خلال تلك الفترة التي تلت حرب التحرر اليوناني وتميزت بيقظة الشعور القومي المناوئ لحكم سلاطين آل عثمان. منذ عام 1834 راح يعبر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود إنساني خاص لتحقيق خلاص اليهود. فنشر كراساً بعنوان ”اسمعي يا إسرائيل“ واقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين، لكي تكون بدورها مقدمة ضرورية ”للخلاص المنتظر“. هاجر إلى فلسطين في عامه السبعين وأنهى آخر أيام عمره في القدس حيث توفي عام 1878.

أمنيتنا الكبرى دون شك هي لم شمل منفييننا من أطراف العالم الأربعة كي يصيروا كتلة واحدة. نحن اليوم، واحسرتاه، مبعثرون ومنقسمون لأن كل جالية يهودية تتكلم لغة تختلف عن الأخرى ولكل منها عادات مختلفة. هذه الانقسامات هي عائق للخلاص. أود أن أقر بالألم الذي كنت أشعر به دائماً لارتكاب أجدادنا الخطأ حين سمحوا للغتنا المقدسة بأن تنسى إلى هذه الدرجة. بسبب هذا انقسم شعبنا إلى سبعين شعباً، ولغتنا الواحدة حل محلها سبعون لغة وهذه هي لغات أراضي المنفى. إذا أراد الله أن يرينا فضله العجيب وأن يجمعنا في أرضنا فسوف لا نستطيع التكلم مع بعضنا بعضاً، فمجتمع من هذا الشكل لا يمكنه النجاح. لا تدعوا أحداً "يحل" هذه المشكلة بقوله أن الله سيبعث الملاك وقت الخلاص كي يعلمنا لغات العالم السبعين كلها، لأن هذه الفكرة مغلوطة. هذا النوع من الأشياء لا يتم تحقيقه بمعجزة ويكاد يكون من غير المعقول أن نتخيل بأن البعث الحقيقي للغتنا العبرية سيتم بالوسائل الطبيعية. لكنه يجب أن يكون عندنا الايمان بأن البعث سيتم لأن يوثيل تنبأ، "أني أسكب روحي على كل بشر فبتنبأ بنوكم وبناتكم". إذاً تنبأ النبي بأن أبناء وبنات عهد الخلاص سيتنبأون بلغة عامة يعرفونها ويستطيعون استعمالها. فيجب علينا أن لا نياس. يجب علينا أن نضاعف جهودنا لنحافظ على اللغة العبرية ولنقوي مركزها. العبرية يجب أن تكون أساس عملنا التعليمي.

سيبدأ الخلاص بجهود اليهود أنفسهم، يجب عليهم أن ينتظموا ويتحدوا وأن يختاروا القادة، ويغادروا أرض المنفى. وبما أنه لا يوجد مجتمع دون جسم حاكم، فإن أول قضاء سيتم بتعيين حكماء كل مقاطعة من رجال ورع وحكمة، كي يرعوا شؤون المجتمع. اقترح بتواضع بأن يكون هذا المجلس - مجلس حكماء - الشيء الذي ينطوي عليه الوعد الذي أعطانا إياه المسيح المنتظر ابن يوسف. يجب أن يتم اختيار هؤلاء الشيوخ على يد الذين نعتمد عليهم من قاداتنا. فتنظيم جسم يهودي عالمي هو في حد ذاته خطوة أولى للخلاص، لأنه من هذا التنظيم سيتكون مجلس حكماء معتمد، ومن مجلس الحكماء هذا سيظهر المسيح المنتظر ابن يوسف. هذا ومن الضروري لنجاح منظمة يهودية عالمية ولنجاح مجلس حكماء أن يكون هؤلاء الحكماء من نوعية جيدة يكون باستطاعتهم فرض احترامهم وطاعتهم وذلك حتى لا يبقى شعب الله كالقطيع دون راع. إن الخلاص يعتمد على هذا. ومما لا شك فيه أن لدينا بعض العادات القبيحة كما أن هناك عوامل

تضعف ديننا. سوف لا يكتسب إيماننا قوته ثانية إلا بتعيين هؤلاء الحكماء. وحتى قبل عودتنا إلى الأرض المقدسة، التي إليها بعون الله سنعود، يجب علينا أولاً تعيين حكماء كي يعملوا على مراقبة الوصايا التي ستطبق، وخاصة في الأرض المقدسة، مثل قانون ترك الأرض بوراً في السنة السابعة، لأن النعم التي ستحل علينا من الأرض تعتمد على إيماننا الذي يلازم هذه القوانين. إنه ليس من المستحيل أن نطبق هذه الوصايا للعودة إلى الأرض المقدسة. السلطان لن يعارض، لأن جلالته يعرف أن اليهود هم رعاياه المخلصون ويجب ألا يكون الفرق في الدين عائقاً لأن كل أمة تعبد إلهها ونحن سوف نطيع الرب إلهنا إلى الأبد.

إني أسأل إخوتنا أن ينظموا شركة، على غرار شركات التأمين وشركات السكك الحديدية. دعوا هذه الشركة ترفع الأمر إلى السلطان كي يعيد إلينا أرض أجدادنا مقابل إيجار سنوي. وعند إعادة تطبيق اسم اسرائيل على أرضنا سيتحمس اليهود أجمعين لمساعدة هذه الشركة بكل وسيلة يملكونها. مع أن هذه المجازفة ستبدأ متواضعة إنما مستقبلها سيكون عظيماً.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx